منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

من روائع الأنبا غريغوريوس

(١)

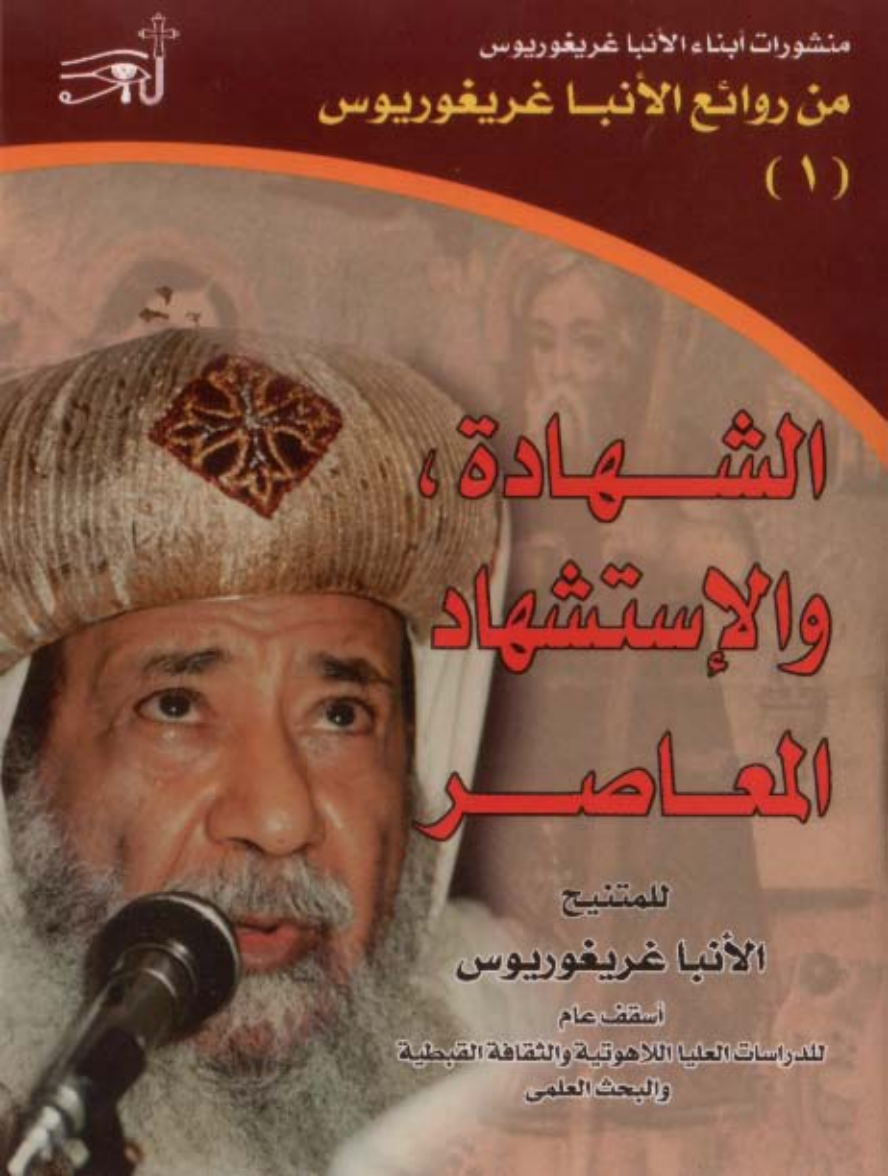

الشهادة، والإستشهاد المعاصر

للمتنيح

الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى

الكـتاب : الشهادة، والاستشهاد المعاصر.
المـؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.
إعـداد : الإكليريكى منير عطيه.
النـاشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس - دير الأنبا رويس
بالعباسية مصر. ت ٦٨٢٤٩٦٢ - ٤٨٨٢٥٢٢
المطبعـة : شركة الطباعة المصرية العبور ت ٦١٠٠٥٨٩
الجـمع : شركة فاين
رقم الايداع بدار الكتب: ١٥٣١٥/ ٢٠٠٣
حقوق الطبع محفوظة لمكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقدمة

لنيافة الحبر جزيل الاحترام المتنيح الأنبا غريغوريوس كثير جداً من العظات والمحاضرات فى شتى الموضوعات والمناسبات المختلفة، مسجلة على شرائط كاسيت، وفى أثناء إعدادنا لبعض أعداد من موسوعة الأنبا غريغوريوس، وجدنا بعض الموضوعات المكملة للموسوعة، لم يتطرق نيافته لها بالكتابة، ولكنه تحدث عنها فى موضوعات وعظات مسجلة على كاسيت، فرأينا تفريغها وضمها إلى الموسوعة.

أما الموضوعات والعظات الأخرى، رأينا أن ننشرها كنبذات مفردة، كسلسلة جديدة من كتابات نيافته تحت عنوان «من روائع الأنبا غريغوريوس» لتخدم كل قطاعات الشعب القبطى، وتكون فى متناول كل الأيدى، وتصلح للتوزيع فى الحفلات والمناسبات لخدمة مدارس التربية الكنسية والأسر الجامعية.

أرجو أن تصلك هذه النبذة عزيزى القارىء، فتستفيد بها فى أقل زمن ممكن، وفى أى وقت من الأوقات، كوجبة سريعة دسمة تحمل لك كما كبيراً من المعلومات فى مختلف الموضوعات، والله وحده قادر أن يوفقنا ويبارك فى هذا العمل لمجد اسمه القدوس بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث.

الإكليريكى منير عطيه

الشهادة، والاستشهاد المعاصر(١)

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

من الإصحاح الحادى عشر من رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين بركاته علينا آمين:

«وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى، فإنه فى هذا شهد للقدماء، بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر، بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين. فيه شهد له أنه بار إذ شهد الله لقرابينه. وبه وإن مات يتكلم بعد. بالإيمان نقل إخنوخ لكى لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله، إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله، ولكن بدون إيمان لا يمكن ارضاؤه لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن بأنه كائن وأنه يجازى الذين يطلبونه، بالإيمان نوح لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد خاف فبنى فلكاً لخلاص بيته فبه دان العالم وصار وارثاً للبر الذى حسب الإيمان. بالإيمان إبراهيم لما دُعى أطاع أن يخرج إلى

---

(١)محاضرة لإجتماع الخرجين الجامعى - بمدرج حبيب جرجس - بمبنى البابا كيرلس السادس بدير الأنبا رويس بالعباسية - مساء الأحد ٩ من سبتمبر ١٩٨٤م ٤ من نسىء ١٧٠٠ش.

المكان الذى كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتى، بالإيمان تغرب عن أرض الموعد، كأنها غريبة ساكناً فى خيام مع اسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه. لأنه كان ينتظر المدينة التى لها الاساسات التى صانعها وبارئها الله. بالإيمان سارة نفسها أيضاً أخذت قدرة على إنشاء نسل وبعد وقت السن ولدت إذ حسبت الذى وعد صادقاً. لذلك ولد أيضاً من واحد وذلك من ممات مثل نجوم السماء فى الكثرة وكالرمل الذى على شاطىء البحر الذى لا يعد.

فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها واقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض. فإن الذين يقولون مثل هذا يظهرون أنهم يطلبون وطناً. فلو ذكروا ذلك الذى خرجوا منه لكان لهم فرصة للرجوع. ولكن الآن يبتغون وطناً أفضل أى سماوياً. لذلك لا يستحى بهم الله أن يدعى إلههم لأنه أعد لهم مدينة.

بالإيمان قدم إبراهيم اسحق وهو مجرب. قدم الذى قبل المواعيد وحيده. الذى قيل له أنه باسحق يدعى لك نسل إذ حسب أن الله قادر على الاقامة من الأموات. أيضاً الذين منهم اخذه أيضاً فى مثال. بالإيمان اسحق بارك يعقوب وعيسو من

جهة أمور عتيدة. بالإيمان يعقوب عند موته بارك كل واحد من ابنى يوسف وسجد على رأس عصاه. بالإيمان يوسف عند موته ذكر خروج بني اسرائيل وأوصى من جهة عظامه. بالإيمان موسى بعد ما ولد أخفاه أبواه ثلاثة أشهر لأنهما رأيا الصبى جميلاً ولم يخشيا أمر الملك. بالإيمان لما موسى كبر أبَى أن يدعى ابن إبنة فرعون. مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتى بالخطيئة. حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر إلى المجازاة. بالإيمان ترك مصرغير خائف من غضب الملك لأنه تشدد كأنه يرى من لا يرى. بالإيمان صنع الفصح ورش الدم لئلا يمسهم الذى أهلك الأبكار. بالإيمان اجتازوا فى البحر الأحمر كما فى اليابسة الأمر الذى لما شرع فيه المصريون غرقوا. بالإيمان سقطت أسوار أريحا بعد ما طيف حولها سبعة أيام. بالإيمان راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة إذ قبلت الجاسوسين بسلام.

وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزنى الوقت إن أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء الذين بالإيمان قهروا ممالك صنعوا براً نالوا مواعيد سدوا أفواه أسود،

أطفأوا قوة النار نجوا من حد السيف تقووا من ضعف صاروا أشداء فى الحرب هزموا جيوش غرباء، أخذت نساء أمواتهن بقيامة **وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة** لكى ينالوا قيامة أفضل، وآخرون تجربوا فى هزء وجلد ثم فى قيود أيضاً وحبس. رجموا نشروا جربوا ماتوا قتلاً بالسيف طافوا فى جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين. وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم. تائهين فى برارى وجبال ومغاير وشقوق الأرض. فهؤلاء كلهم مشهودا لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد إذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل لكى لا يكملوا بدوننا». نعمة الله الآب فلتحل على أرواحنا آمين.

معنى الاستشهاد لغوياً:

يقال فى اللغة العربية «أستُشهد» بمعنى «قُتل فى سبيل الله» هذا هو المعنى الاصطلاحى، لكن المعنى الاشتقاقى لكلمة الاستشهاد مشتق من الشهادة، «فاستشهد» بمعنى «سئل للشهادة، أو طُلب للشهادة»، والشهادة هنا الشهادة للإيمان الذى يدين به الإنسان ويزود عنه، هناك بعض الناس يقرؤها استشهد، لكنها استشهد. استشهد فلان أى طُلب للشهادة، فشهد، فشهد للإيمان الذى يؤمن به.

وشهدائنا سُئلوا عن إيمانهم فجهروا به، وأعلنوه فى قوة وفى جرأة، وكانت شهادتهم كرازة للحكام، ولمن سمعوا شهادتهم، وكثيراً ما ربحت هذه الشهادة لملكوت السموات جموعاً آمنوا بالمسيح، كان يترتب على هذه الشهادة أن هناك إناساً غير مؤمنين عندما يسمعون هذه الشهادة يؤمنون بالمسيح، وأيضاً يطلبون أن يموتوا شهداء، هذا هو إذن معنى الاستشهاد، أن يشهد المسيحى للحق الذى يؤمن به. ويدعو الآخرين إلى أن يؤمنون، شهادة حق فى إخلاص للحق وحب للحق، شهادة صدق من قلب طاهر مستند إلى الحق ذاته، وهو شهادة لشرف الحق الذى يعتنقه فى فخر وإعتزاز، فقد كانوا الشهداء فخورين بدينهم وبتباعيتهم للمسيح، ولم يكن الصليب عندهم عاراً وإنما لهم عزة وفخارا، رسموه على وجوههم وعلى أيديهم.

وهذا هو أساس دق الصليب على اليد، وهى معروفة عندنا نحن الأقباط، الدق بالإبرة وبنوع من الخضرة ليبقى فى اليد ولا يمحى، لكن أساسه كان فى عصور الاستشهاد، من حب المسيحيين للاستشهاد، الأباء والأمهات كانوا يخافوا على أطفالهم الصغار الغير قادرين على أن يتكلموا، فلو فرضنا أن

الأب والأم قُتل من أجل المسيح، وتُرك ابنه الطفل، فخوفاً عليه وعلى مستقبله فيدقوا على يد الطفل منذ أن يكون رضيعاً علامة الصليب، حتى أن الطفل وإن كان لا يعرف الكلام فلو أوتى به أمام الحاكم فهذه العلامة التى على يده تنطق أنه مسيحى. ولو فرضنا أن الأب والأم ماتوا والطفل بقى فى الحياة، فعندما يكبر يعرف أن أصله مسيحى من علامة الصليب التى على يده، وذلك من اعتزازهم وخوفهم على ابنهم أو ابنتهم من أنها تحسب غير مسيحية، يكونوا فرحانين ومبسوطين أن أطفالهم يقتلوا من أجل المسيح، لكى يضمنوا مستقبلهم الأبدى، ولو فرضنا أن الأب والأم ماتوا فيكون الطفل فيما بعد لو ترك حياً يعلم أنه مسيحى من علامة الصليب، وهى الأثر الباقى الذى يذكره أنه مسيحى، وأنه تعمد بالمسيح وأصبح فى حساب المسيحيين.

الحقيقة هذا الكلام تذكرته عندما ذهبنا إلى بورسعيد بعد الإعتداء الثلاثى سنة ٥٦، فأعداد عديدة من الناس قتلوا وأعداداً كثيرة من الأطفال تركوا بلا أب وبلا أم فلم تكن لهم هوية، خصوصاً الرضعان الذين لا يتكلموا، فضموهم إلى الملاجىء غير المسيحية، فأنا وقتها الحقيقة كانت لى فرصة أن أذهب

بورسعيد بعد الإعتداء الثلاثى، وقلت للشعب لو نحن على طريقة أبائنا وأجدادنا دقينا الصليب على أيدى أطفالنا من الصغر لما حدثت هذه المأساة، ولا خسرنا هذا العدد من الأطفال، كانت علامة الصليب تشهد أنه مسيحى، حتى لو كان عاجزاً عن الكلام، فلا يُضم إلى الملاجىء غير المسيحية، فهذا اختراع قبطى أبائنا وأجدادنا صنعوه ليضمنوا سلامة أطفالهم وبقائهم فى الإيمان المسيحى.

والاستشهاد أيضاً معناه وفاء بالمعروف، لأن إنكار المسيح خيانة، والاعتراف به وفاء بحبه وتقدير لحبه وتكريم لدينه، نذكر كلمات المسيح له المجد من اعترف بى أمام الناس أعترف به أنا أيضاً أمام ملائكة السماء، ومن أنكرنى أمام الناس أنكره أمام ملائكة الله.

فالإستشهاد فيه اعتراف لتبعيه الإنسان للمسيح ولا ينكره فى ساعة الاضطهاد، وساعة الآلام، لا يتنكر لمعرفته للمسيح ولتبعيته له إنما يعترف به، أوقات الاستشهاد أوقات مُرة وفيها يمتحن الإيمان، وفيها يكون فرصة للتعذيب، وهذه الفترة تكون صعبة، أيام الزاوية الحمراء فى يونيه سنة ٨١ أذكرجيداً بعد

قداس يوم الأحد واحد من شعبنا القبطى سار ورائى بعد ما خرجنا من الكنيسة، وفى قلبه مرارة وحزن وضميره متعب جداً لماذا؟ لأنه اضطر كما يقول هو أنه كتب على المحل الذى يملكه فى الزاوية الحمراء عبارة تفهم أنه غير مسيحى، فكان حزين جداً على نفسه، ويقول تصور أنا فلان الفلانى، أنا المسيحى، أنا... أنا... واستمر يذكر أشياء تبين تبعيته للمسيح، وأنه ابن للكنيسة ولكن ضميره تعبان لماذا؟ لأنه لكى ينقذ المحل فى الزاوية الحمراء اضطر أنه يكتب على المحل عبارة، لكى ينقذ محله التجارى من الاعتداء عليه. وفعلاً نجح فى أنه أنقذ المحل التجارى من الاعتداء عليه، لكن ضميره تعبان، واعتبر أنه هو أنكر المسيح فى سبيل أنه ينقذ المحل التجارى، فكان يشعر بالمرارة والألم لأنه سقط فى ساعة الإمتحان، رسب فى ساعة الإمتحان، تنكر للمسيح، بعد ما انتهت المعركة أحس بالألم النفسى والألم الروحى، وشعر أنه قد أخطأ لأنه تنكر لسيده، وهذا هو السؤال الذى نسأله دائماً ونعاتب ربنا ونقول لماذا يارب هذا؟ ولماذا تسمح بذلك؟ ولماذا يحدث ذلك؟ ولماذا... أمثال هذه الأسئلة، والاجابة عليها أن ربنا يسمح بذلك لكى تكون فرصة إمتحان لإيمانه.

لماذا الاستشهاد ؟

الشجرة فى أوقات معينة وخصوصاً أوقات الخريف، تهتز هزة عنيفة، هذه الهزة العنيفة للشجرة تجعل الأوراق تسقط، لكن أى أوراق؟ الأوراق الصفراء الضعيفة، فى الخريف تجد الأرض كلها مملوءة بالورق، ولكن الورق الذى سقط لصالح الشجرة، لأنه أنقذ الشجرة من هذا الورق الأصفر الضعيف، لأنه لولا سقوط هذا الورق الأصفر الضعيف لما كانت هناك فرصة للبراعم الجديدة الخضراء أن تظهر، فى البلاد الباردة مثل انجلترا والمانيا أو روسيا وما إليها من البلاد، نرى فى الشتاء أن الشجرة كلها عبارة عن حطب أسود، كل الورق وقع لدرجة الواحد يقول الشجرة ماتت، والنجيل من كثرة ما يسقط عليه الثلج يتفحم ويتحول إلى لون فحم اسود، والواحد يقول خلاص الطبيعة ماتت،وهذا الكلام لا نحسه نحن فى الشرق لأنه لا يكون عندنا برد بهذه الشدة لدرجة يموت الورق والشجر، لكن فى البلاد الباردة التى تصل درجة البرودة أحياناً إلى ٣٠، ٣٥، ٥٠ تحت الصفر فيحدث أن الورق يقع كله، وتنظر الشجرة عبارة عن حطب اسود، وفى الربيع فى آواخر مارس تبتدأ براعم خضراء ونوع من اللون الأخضر الخفيف

يسموه line Green تطلع البراعم الخضراء الجميلة والواحد يكون مبسوط جداً أنه يرى البراعم الجديدة الخضراء وحينئذ يحس الإنسان بالأمل، ويفهم معنى الأمل، ويفهم معنى الموت ومعنى الحياة بعد الموت لأن الحياة بعد الموت ممكنة، نرى الشجر مات ومع ذلك قام من جديد، وبدلاً من الأوراق الصفراء الزائلة التى سقطت نبتت براعم جديدة.

هذه سياسة ربنا فى الطبيعة... لماذا؟ حتى لا يعطل الورق الزابل البراعم الجديدة، فالشجرة لازم تتهز ولابد أن تمر عليها هذه التجربة الأليمة، لكى تقع الأوراق الصفراء الزابلة لكى تعطى فرصة للبراعم الجديدة الخضراء والمحصلة بعد كل هذا أن الهزة العنيفة لم تضر الشجرة وإنما أفادتها.

فهنا إجابة على السؤال الذى نسأله أحياناً لماذا ربنا يسمح بالتجارب والإضطهادات والآلام؟ لماذا يسمح بهذا؟ ثم يكون هناك سؤال أكبر من هذا، لماذا يترك بعض الشهداء يتعذبوا ويأخذوا مدد طويلة من العذاب، مثلاً مارجرجس أخذ ٧ سنين، أى واحد فينا تمر عليه تجربة صغيرة ويقول لماذا...؟ لماذا صنع الله ذلك، ويكون حزين ومتضايق من ربنا ويجدف على

الله، لكن نرى واحد مثل مارجرجس استمر ٧ سنوات، لماذا تركه ربنا يعذب هذا سؤال؟ أو أبى سيفين أو الأمير تادرس أو الست دميانه أو غيرهم، كل هؤلاء السؤال يقول لماذا ربنا تركهم؟ لماذا من الأول ربنا لم يساعدهم أو ينصرهم على الأعداء؟ الإجابة على هذا السؤال أن ربنا يعطى الفرصة للإمتحان أوقات الاستشهاد، أوقات الإمتحان هذه يظهر العنصر الطيب فرصته لثبات الإيمان.

الكتاب المقدس يقول جملة مهمة «لابد أن يكون بينكم بدع ليكون المزكون ظاهرين» المزكون عن الموت، الذين تزكوا أى تطهروا بارزين، أباء الكنيسة الكبار العظماء ما الذى صنع عظمة هؤلاء؟ الآلام، لولا الآلام لما ظهرت عظمة هؤلاء الأباء الكبار، لما ظهر صبرهم، ولما ظهر عنصرهم القوى، ولما ظهر ثباتهم، ولما ظهر عنادهم فى الحق، وهذه أمثلة ونماذج وأدلة على المحبة لله وعلى الصمود والصبر وقوة الثبات وقوة الإرادة وقوة الإخلاص وعدم التزعزع وعدم التردد.

كل هذه الصفات كيف تبرز، كيف تظهر، كيف يتمرن الإنسان عليها؟ إلا إذا كانت هناك ظروف الآلام واضطهاد.

فنحن كثيراً جداً نسمع من شعبنا هذا السؤال لماذا؟ لماذا يتركنا الله؟ لماذا لا يمد يده وينقذنا؟ الله يصبر ويرى ويرقب من السماء ويعرف من الثابت، من الذى يتزعزع؟ من الذى يصمد؟ من الذى تخونه قواه؟ من الذى يستمر ومن الذى يرجع؟ وهذه العملية تطهر الكنيسة من العناصر الضعيفة. وهى مؤلمة لأن سقوط الأوراق من الشجرة خسارة ثم أنه يلوث الأرض، ولكن هذه العملية مفيدة للشجرة، تطهر الشجرة من الأوراق الصفراء الضعيفة.

الكنيسة من وقت إلى آخر فى حاجة إلى هذه الهزة لتطهيرها، لتطهيرها من العناصر الضعيفة، الله لكى يحفظ للكنيسة استمرارها وبقائها يعطى الفرصة لأن تتخلص الكنيسة من العناصر الضعيفة المعطلة، لكى تتنقى الشجرة وتصير سليمة وتحمل رسالتها إلى الأجيال الآتية، فالاضطهادات مفيدة، وفترات الاستشهاد مفيدة، من جهة لبيان الثبات والصمود، وبيان محبة الإنسان لله إن كان حقاً يحبه من قلبه، هناك كثيرون يتبعوا الدين لأن تبعيتهم للدين تنفعهم، تنفعهم للدنيا، ويوجد آخرون يربحوا، على الأقل غير النفع المادى الذى عند بعض الناس فى بعض المجالات، يكون هناك نفع أدبى، إن هذا

الإنسان ينال كرامة أو ينال مدحاً أو يُمدح من الآخرين، فلان هذا رجل متدين أو إنسان متدين، هذه البنت متدينة، هذه تكسبهم شهرة وممكن يترتب عليها نوع آخر من الكسب من أى نوع، فنحن على حساب المسيح نكسب، على حساب الدين نكسب، هذه العناصر التى تستفيد من الدين عندما تأتى ساعة الشدة تسقط وتتخلى عن الدين وتتنكر للدين، فإذا هزت الشجرة وسقطت هذه الأوراق الضعيفة، فهذا خير للشجرة لكى تتخلص من هذه الأوراق الضعيفة حتى تبقى الشجرة وحتى تكون هناك فرصة للبراعم الجديدة.

وهذا ما قالوه بعض الأباء «دماء الشهداء بذار الإيمان» أى دم الشهداء يبقى بذور تنبت منه نبت جديد، وهذا ما لاحظناه على مر العصور أن ثبات الشهداء ووقفتهم الشديدة، الأمانة لسيدهم بهر بها غير المومنين فآمنوا ويبقى هذا ضد ما أراده الحكام، أنهم يضطهدوا المسيحيين لكى يقل عدد المسيحيين وتتطهر البلاد منهم، فإذا بهذه الشهادة يولد مسيحيون جدد ومن أحسن طراز، لأن الشخص الذى يدخل المسيحية فى أيام الإضطهاد يكون من العناصر الطيبة التى لم تأتى للإيمان نتيجة أى إغراء مادى، إذن ما الذى دفعه أن يدخل المسيحية؟ هى

الفضيلة التى رآها متمثلة فى هؤلاء الشهداء الأبرار، فتأثرت نفسه بصمودهم وصبرهم وجهادهم وفضيلتهم، فأراد أن يتمثل بهم، بهر بثباتهم فانجذب إلى المسيح عن طريقهم. إذن دماء الشهداء بذار الإيمان.

هنا نبين أولاً أن الاضطهاد والاستشهاد لا مفر منه، وبعد ذلك هو مفيد لكيان الكنيسة، هزة عنيفة يترتب عليها أن تسقط بعض أوراقها الضعيفة، وإن كان هذا خسارة لكنه بالنسبة للشجرة فائدة ومكسب.

ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً:

هنا أيضاً سؤال: لماذا يكون هناك استشهاد؟ ولماذا يكون هناك اضطهاد؟ هل هذا الإضطهاد وهذا الاستشهاد هو الذى قال فيه المسيح «لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً، فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والإبنة ضد أمها والكنة ضد حماتها، وخصوم الإنسان من أهل بيته، هذا التصريح من المسيح غريب ويدعونا إلى التساؤل، المسيح الذى هو رب السلام وإله السلام وسيد السلام، والذى هتفت فى مولده الملائكة قائلة المجد لله فى الأعالى وعلى

الأرض السلام، والذى وصف فى العهد القديم «أنه يولد لنا ولد ونعطى إبناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام» كيف يقول عن نفسه لا تظنوا أننى جئت إلى الأرض لألقى سلاماً بل سيفاً، جئت لأفرق... كيف هذا؟ عبارة غريبة أن تصدر من المسيح لكن تفسيرها هو، أن مبادىء المسيح من شأنها أن ينقسم الناس بإزائها، فبعض الناس يقبلونها وبعضهم يرفضونها، ولابد أن تقوم حرب بين الذين يقبلونها وبين الذين يرفضونها، بالنسبة للذين يقبلونها سوف لا يستخدمون السيف، لكن السيف سيستخدم فى أيدى الذين يرفضونها ليقهروا الذين يقبلونها، وهذا ما حدث ويحدث فى أيام الاضطهاد، أيام الاستشهاد، إن الحكام والولاة وغير المسيحيين هم الذين يشهرون السيف، فالمسيح لا يحمل السيف بهذا المعنى المادى، والمؤمنون بالمسيح لا يحملون سيفاً بهذا المعنى أيضاً، إنما أعداء الإيمان هم الذين يحملون السيف ضد المسيحيين وهذا مايحدث فى أيام الاضطهادات. فالسيد المسيح يريد أن يقول أنا مسئول عن هذه الحرب التى تقوم ضد المسيحيين، لأنه لولا مبادئى لما كانت تقوم هذه الحرب ضدهم فأنا المتسبب فى هذا الإضطهاد، وهذا هو معنى قوله لا تظنوا

أننى جئت إلى الأرض لألقى سلاماً رخيصاً، سلاماً على حساب المبادىء وسلاماً على حساب الحق، ذلك استسلام للشر واستسلام للرزيلة واستسلام لسلطان الشيطان، ليس هذا سلام، سلامى أنا من نوع آخر، لكن مع ذلك أنا لا أحمل سيفاً، ولا أسمح للذين يتبعونى أن يحملوا سيفاً، ولكن سيحمل السيف ضدهم فى أيام الإضطهاد وأيام الإستشهاد، ولكنى اعتبر نفسى أنا المسئول عن هذه الحرب التى قامت وتقوم ضد المسيحيين وضد المؤمنين، وهذا هو معنى أنى ما جئت إلى الأرض لألقى سلاماً بل سيفاً، هنا السيف سيف الحق، فى سفر الرؤيا يوصف المسيح أنه من فمه سيف ذوحدين، ليس مثل السيف الذى كان مع بطرس، ولذلك قال لبطرس رد سيفك إلى غمده لأن الذين يأخذون السيف بالسيف يوخذون.. لا.. لكنه مع هذا يحمل سيفاً، السيف هنا يفصل بين الحق والباطل، وبين الخير والشر ولا يسمح بهذا الاندماج الضار الذى يضيع على الحق قيمته، والذى يجعل الباطل يندمج فى الحق.

الفرق بين التسامح والتساهل:

هناك من المسيحيين يفهموا السلام ويفهموا المحبة بهذا المعنى، على حساب العقيدة وعلى حساب الإيمان، يقولوا ما هو لزوم التشدد؟ المسيح علمنا المحبة!! علمنا السلام!! لماذا نتشدد؟ ويعتبر أن التساهل نوع من المحبة، ولكن التساهل على حساب المبدأ، على حساب العقيدة، على حساب ربنا .عندما الإنسان يتساهل فى حقوقه الشخصية يحسب هذا له أجراً، عندما يكون التساهل فى شئون الطعام أو فى الشراب أو الأرث أو فى الشئون المادية، عندما يحدث خصومة ونزاع بين إنسان وآخر، وهذا الإنسان المسيحى يتسامح فى شئون الطعام والشراب والإرث وما إليها، هذا تسامى فى حق شخصى ، أما إذا تسامح إنسان فى حقوق الله أو حقوق الإيمان أو حقوق الكنيسة، ليس هذا تسامح ولكنه تساهل، وهذا التساهل جريمة ضد الله، وعلى حساب الله، لابد أن نفرق بين التسامح والتساهل، التسامح فى حقى الشخصى فقط.

فالأنبا بولا مثلاً قبل أن يترهبن قام نزاع بينه وبين زوج أخته على ميراث، زوج الأخت طبعاً يدافع عن حقوق زوجته،

والواقع يدافع عن حقوقه فحدث نزاع مثل ما يحدث فى البيوت بين الأخ وأخوه أو الأخ وأخته فى داخل العائلة الواحدة، على الأرث، فالأنبا بولا فى فترة النزاع دخل الكنيسة ثم خرج من الكنيسة بعدما سمع الإنجيل وتعزى ثم ذهب لزوج أخته وقال له اسمع لن يكون هناك خلاف بينى وبينك، الذى تريده خذه، فلن يمكن أن يكون هناك خلاف بينى وبينك على هذه الأمور، فنحن لن نختلف، كل ما تريده خذه وحل المشكلة وحل النزاع، تنازل عن ما يحسبه الإنسان أنه حق له، وأيضاً الجزء الباقى وزعه للفقراء والمساكين ثم ذهب للرهبنة.

هذا هو التسامح فى الحق الشخصى فمن حقه أن يتنازل عنه فى سبيل السلام، وهذا ما قاله المسيح من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك اترك له الرداء أيضاً، أى يكون مستعد ليس فقط أن يعطيه الثوب فقط ولكن الرداء أيضاً، من أراد أن يسخرك ميلاً اذهب معه إثنين هذا هو التسامح، لكن حقوق الله، حقوق الكنيسة، حقوق الآخرين لا.. لو أنا تسامحت فيها هذا ليس تسامح هذا تساهل!! لأنه ليس حقى، لا أملك أن اتسامح فيه، مثل أى واحد موظف عمومى، مثلاًعندما يكون قاضى أمامه قضية، وهذه القضية فيها إنسان معتدى أو إنسان سرق أو إنسان ظالم وهذا

القاضى يتسامح معه ويحكم له بالبراءة، هذا القاضى مخطىء، تريد أن تتسامح تسامح فى حقوقك الشخصية، إنما وأنت قاضى وتحكم على أحد بالبراءة وهو مذنب، يقول الكتاب المقدس «مذنب البرىء ومبرىء المذنب كلاهما لا يتبرءان أمام الله» لا... مادام أنت قاضى ومكلف بهذا أوموظف عمومى، أو إنسان لك مسئولية لا تتسامح فيها، إنما تسامح فى حقك الشخصى، وليس فى حق الدولة، أو حق أى واحد آخر فتصير ظالم، لابد أن نفرق بين التسامح والتساهل.

التسامح فضيلة إذا كان فى حقى الشخصى، إنما التساهل جريمة لأنه تساهل فى حقوق الله أو حقوق الآخرين مثل الوديعة، يقول الكتاب المقدس احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا، الوديعة ثمينة، عندما تكون عندك وديعة لواحد آخر، مفروض أن تحافظ عليها لا تقدر أن تتصرف فيها لأنها وديعة، والوديعة غالية، وأنت مسئول أمام الله عنها وأمام الآخرين، لا تقدر أن تفرط فيها، فرط فى مالك الخاص لكن الوديعة لا.. هكذا حقوق الله لا تفرط فيها ولو فرطت فيها لا تكون متسامح، ومن هنا الخلط الذى نقع فيه فى حياتنا المسيحية، نخلط ما بين المحبة والتساهل فى الدين، لا تسامح

فى الدين ولا فى العقيدة، الذين يقولون كلنا واحد، وكلنا فى المسيح هذا نوع من التساهل، لا.. أنظر يوحنا الرسول الذى سمى بالرسول الحبيب، والذى دائماً كان يتكلم عن المحبة، وكل تاريخ حياته كان أهم شىء عنده المحبة، لدرجة أنه فى خدمته كان يصر على المحبة، أنظروا الرسائل الثلاث كلها كلام عن المحبة، وهو الذى أبرز الكلام الذى قاله المسيح عن المحبة، «وصية جديدة اتركها لكم أن تحبوا بعضكم» هذا الرسول عندما صار شيخاً وكبر فى السن كان يتكلم عن المحبة، يقول التاريخ أن المؤمنين ضجروا من أنه يتكلم باستمرار عن المحبة، فقال لهم هذه وصية الرب إذا أنتم أتممتموها فقد أتممتم كل شىء، هذا الرسول الذى يتكلم عن المحبة يقول من جهة الإيمان: «الذى يأتيكم ولا يجىء بهذا التعليم لا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام، لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة» كيف الذى يتكلم عن المحبة يقول ذلك هنا نميز ما بين المحبة التى أوصى بها المسيح، وبين المحبة التى على حساب المسيح، وهى أنك تصادق شخص على حساب المبادىء، المسيح هو الذى يقول: «إن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن تدخل الحياة بعين واحدة من أن تكون لك عينان وتذهب

إلى جهنم النار، إن أعثرتك يدك فاقطعها وإلقها عنك لأنه خير لك أن تدخل الحياة برجل واحدة أو يد واحدة من أن تدخل جهنم ولك يدان ورجلان، ما معنى هذا الكلام؟ معناه إذا كان لك صديق أو أخ أو إنسان أيا كان، بمثابة العين، غالى عليك قد يكون مرشد لك تستنير به وتقتدى به، إذا كان لك صديق بمثابة اليد تعتمد عليه أو بمثابة الرجل تستند إليه ولكن يعثرك ويعطلك عن خلاص نفسك، لابد أن تكون مستعد أن تقطع صلتك بهذا الإنسان، حرصاً منك على حياتك الأبدية، حرصاً منك على مستقبلك الأبدى، ولذلك أنا أريد أن أقول أن مبدأ المقاطعة للمعاشرات الشريرة مبدأ مسيحى مائة فى المائة، ليس معنى المحبة المسيحية أننا ننشىء صداقة مع الذين يختلفون معنا فى الإيمان والعقيدة **على حساب المسيح**، لا.. إذا رأيت أن هناك خطر يهددنى ويهدد مصيرى الأبدى، لازم أكون من الشجاعة بحيث أضع حداً لهذه الصداقة ولهذه المعاشرة، وأقطع صلتى بهذا الإنسان لأنه خير لى أن أدخل الحياة الأبدية بعيداً عن هذا الإنسان، من أن أدخل إلى جهنم النار ومعى هذا الإنسان. ليس معنى ذلك أن الإنسان يقلع عينه، لا.. المسيح يتكلم عن الأشخاص الذين بمثابة العين أو بمثابة اليد أو الرجل

فى الإعتماد عليهم، وهذا ما قاله الرسول بولس «المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة» ويقول «لا أشياء حاضرة ولا مستقبلة تستطيع أن تفصلنى عن محبة الله التى فى المسيح يسوع».

هنا يا أولادنا معنى الاستشهاد، لماذا ربنا يسمح بالاستشهاد؟ لأن طبيعة مبادىء المسيح وحرارتها وقوتها وطهارتها، هذه الطهارة تقتضى أن يكون هناك أشخاص لا يقبلوها فيقيموا حرباً على الذين يقبلونها، هذه الحرب المقدسة، المسيح يقول أنا المسئول عنها، أنا السبب فيها، لكن لابد منها، وإلا ضاعت الفضيلة وضاع الإيمان ويصبح الإنسان يدوس على كل المبادىء فى سبيل أن لا يغضب أحداً لا.. لا.. هذا النوع من السلام لا نقبله ولا يقبله المسيح، هذا استسلام، إنما السلام لابد أن يكون قائماً على الحق، وفى موقف معين أقطع صلتى من دون أن أخاصم أحد، عندما أجد أن هذا الإنسان خطر علىّ أقطع صلتى به، أقطع علاقتى به، قطع العلاقة فى هذه الحالة لايعد تعارض مع مبدأ الحب، إنما إنقاذاً للإنسان من أن يقوده إلى هلاكه الأبدى.

الاستشهاد ضرورة:

إذن من هنا كان الاستشهاد ضرورة لا مفر منها فى هذا العالم، لأن العالم وضع فى الشرير، لأن العالم يحكمه الشيطان، والمسيح عندما أتى من السماء أتى فى مملكة الشيطان ليؤسس له ملكاً، فلابد أن تقوم هناك حرب، والمسيح نفسه وهو إله السلام حورب وحكم عليه ظلماً وصلب، لذلك لابد للسائرين فى طريق السماء وللتابعين للمسيح أن يكون مصيرهم مصيره وهذا ما قاله: «إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونهم» أى جعل مصير المؤمنين به مصيره. فنحن مصيرنا كمسيحيين مربوط بمصير سيدنا، سيدنا رفض من الأشرار وحكم عليه ظلماً، فإذن من الطبيعى أن الذين يتبعون المسيح أن يكونوا مرفوضين فى متى ٢٤ ومرقس ١٣ يقول: «وتكونون مبغضين من الجميع» لماذا؟ من أجل سيدهم، هذا النوع من الكراهية لا تتعارض مع المحبة التى نادى بها المسيح، لأن هذه الكراهية تقتضيها طبيعتنا، طبيعة المسيح وطبيعة السائرين وراء المسيح، لأن العالم لابد أن يبغضكم لأنه مسيطر عليه الشرير، والرسول بولس يقول كلمة رهيبة «حاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح

الذى به قد صلب العالم لى وأنا صلبت للعالم، ماذا يعنى؟ يعنى الصليب أصبح رمز المسيحية، وما هو الصليب؟ الصليب خطين متعارضين، فهناك تعارض، يوجد خط رأسى ويوجد خط أفقى، أنا صلبت للعالم والعالم صلب لى، هنا العالم المقصود به روح الشر التى فى العالم، فهنا التعارض، فلابد أن نعيش فى الدنيا مصلوبين عن روح العالم الشرير، مكروهين من أجل مبادىء المسيح، فى هذه الحالة يكون مصيرنا مصير سيدنا، وهذا هو السبب لماذا قام الإضطهاد؟ قام الإضطهاد سنة ٢٨٤ ميلادية وهذا كان تاريخ إعتلاء ديقلديانوس العرش الأمبراطورى، فالأقباط لأنهم نالوا فى عهد هذا الأمبراطور أكثر الإضطهادات شناعة وقوة وشراسة، ويعتبر عاشر إضطهاد منذ تجسد الله وميلاد المسيح، فمن تاريخ التجسد مرت على الكنيسة فترات أباطرة، يعد ديقلديانوس العاشر، وبالتالى يعد عاشر إضطهاد، لكنه كان أكثر الإضطهادات عنفاً وقوة. وضع تخطيط محكم لمحق المسيحية نهائياً، وهذه جهالة الإنسان الذى يظن إعتماداً على فكره الثاقب وعلى ذكائه أنه يستطيع أن يقاوم الله.

وضع ديقلديانوس خطة محكمة تقوم على نقاط أربعة:

١- حرق الكتب المقدسة.

٢- هدم الكنائس والمعابد.

٣- قتل الأساقفة والكهنة والإكليروس عموماً.

٤- طرد المسيحيين من وظائف الدولة وقتلهم بالسيف وما إليها من وسائل التعذيب.

وقطعاً هى خطة شملت كل النواحى، خطة كاملة متكاملة، وبحسب الذكاء البشرى فعلاً تقود إلى محق المسيحية وإنهائها وإلغائها من الوجود. ولكن الذى حدث حقاً أن كثيرين من المسيحيين قتلوا وكثيرين من المسيحيين ماتوا، ولكن مع هذا بقى للرب ركب لم تنحنى إلا لله، حافظوا على إيمانهم استمسكوا بعقيدتهم، وضم إليهم عناصر أخرى آمنت بالمسيح، لأنها رأت فى دين المسيح سبباً لأن يجعلها تنضم إلى هذا الدين الروحانى السماوى ولا تلغى المسيحية.

ولذلك الحقيقة الإنسان ممكن على مدى التاريخ، أن يسخر من أى حاكم أو والى أو شخص أيا كان هذا الإنسان، ظن فى

نفسه أنه فى قدرته أن يقاوم المسيح، مثل ما قال ربنا له المجد لشاول الذى هو بولس الذى كرس حياته لإضطهاد المسيحية، قال له: «شاول شاول لماذا تضطهدنى؟ صعب عليك أن ترفس مناخس المهماز»، الأول قال له لماذا تضطهدنى: قال من أنت يا سيدى الذى أنا أضطهدك؟ قال له أنا يسوع الناصرى ـ نسمى نصارى نسبه إلى الناصرة ـ أنا يسوع الذى أنت تضطهده، صعب عليك، ستتعب يا شاول ولن تستطيع أن تصل، أنت مسكين يا هيرودوس وأمثال هيرودوس، ممكن كل إنسان يظن فى نفسه أنه يستطيع أن يقاوم الله، وأنه بذكائه وقدرته وتخطيطه، خصوصاً إذا كان حاكم وصاحب قوة وصاحب صولجان، يستطيع أن يصنع شيئاً كثيراً، مسكين لن تقدر وهذا ما حدث.

اسمعوا يا أولادنا ديقلديانوس له قصة طويلة لن أقدر أحكيها الآن، ولكن أقول لكم على النهاية فقط، هذا الرجل الذى أصبح امبراطور وهو الذى عذب كثيرين من الشهداء، وهو الذى من كثرة الحقد الذى فى قلبه نحو المسيحية والمسيحيين، قال: «إن مصر هنا رأس الحية ـ وهذا هو فخر لآبائنا وفخر للأقباط أنهم رأس الحية ـ ولذلك عندما أسحق رأس الحية أكون قضيت على

المسيحية، فجاء بنفسه إلى الأسكندرية ونذر نذراً وأقسم بآلهة الوثنية أنه لن يكف عن ذبح المسيحيين بيده، إلا بعد أن يتخضب حصانه فى بحر من دماء المسيحيين، انظر التشدد، نزل يضرب يضرب وطبعاً عندما الأمبراطور يعمل ذلك ماذا يصنع الولاه فى المسيحيين، لذلك كنيستنا تسمى كنيسة الشهداء، لايوجد بلد صدر عدداً من الشهداء كالذين صدرتهم كنيسة مصر. خصوصاً إذا نظرنا إلى التاريخ الطويل العريق ٢٠٠٠ سنة ومع ذلك لم تفنى المسيحية، بقيت ولا زال لنا رسالة، لأن كنيسة مصر لها رسالة فى الأيام الأخيرة، والمسيح الذى هرب من ٢٠٠٠ سنة كان هروبه إلى مصر نبوءة عن مجيئه الثانى فى آخر الأيام، معنى أن المسيح يهرب إلى مصر أن روح المسيحية تهرب إلى مصر. سيكون لكنيسة مصر دور قيادى طليع فى آخر الأيام. لأن منطقة الشرق الأوسط هى التى تسقط عليها الأضواء، ولأن عمل الشيطان فى الأيام الأخيرة سيشتد فى الشرق الأوسط، ومشكلة الشرق الأوسط هى المشكلة التى تجذب اليوم أنظار جميع الناس فى العالم كله، مشكلة الشرق الأوسط أكبر مشكلة لماذا؟ لأن المعركة الأخيرة ستكون فى الشرق الأوسط. وفى أرض فلسطين، ولكن كنيسة مصر

لابد أن يكون لها دور فى هذه الأيام المهمة الخطيرة التى يتوقف عليها مصير البشرية كله فى الأيام الآتية.

كنيسة مصر كنيسة الشهداء، نعم لذلك أبائنا قالوا أن هذا الرجل الذى اضطهد المسيحية أكبر اضطهاد، ووضع خطة محكمة لمحقها ولم يستطع، هذا الرجل ندون فى تاريخنا إعتلائه على العرش ونجعله حلقة جديدة من تاريخ مصر الطويل. إذن عام ٢٨٤ من أيام المسيح ما معناه؟ ليس معناه أن الشهداء بدأوا ٢٨٤ لا.. ولكن حلقة جديدة، ليس معناها أن التقويم القبطى بدأ من سنة ٢٨٤، ولكن تقويمنا أقدم تقويم عرفته البشرية، ولكن سنة ٢٨٤ تحدد الوقت الذى فيه اعتلى ديقلديانوس العرش، فأراد الأقباط أن يسجلوا هذا التاريخ ليكون حلقة جديدة من حلقات تاريخهم الطويل. لا حباً فى ديقلديانوس ولا تشرفاً بديقلديانوس، إنما شهادة على إيمان الأباء الصامد الذى جعلهم يصمدون ويقوون على هذا الإضطهاد.

لكى نذكر أن هذا التاريخ تاريخ الإضطهاد تاريخ الاستشهاد، تاريخ بقاء الكنيسة، ونذكر هذا لأهمية الأيام الآتية التى سوف يمتحن فيها الإيمان، لنأخذ من تاريخنا الماضى ما يسندنا

عاطفياً وروحياً ويساعدنا على أن نواجه الأيام الآتية، وهى أيام تزداد ثقلاً يوماً بعد يوم، وتتعقد المشكلة يوماً بعد يوم، ولكن المسيح باق، والمسيح قادر، بوابات الجحيم، ليس فقط أبواب، بوابات الجحيم لن تقوى عليها، وفى الآخر ستصير الأرض وما عليها للرب ولمسيحه. كل ماعدا المسيحية سوف يفنى، كل الأجيال سوف تفنى إلا المسيح وإلا المسيحية، سيبقى المسيح لأن كل أعدائه سوف يبطلون وتصير الأرض وما عليها للرب ومسيحه.

فهذا تاريخ الشهداء، التأمل فيه يشحذنا بأن نكون صامدين، وأن نكون أقوياء وندخل على المعركة الآتية بقلب صامد ونفس مستنيرة، وفى قلوبنا شجاعة وبسالة وصبر واحتمال، على ضوء بسالة أبائنا وشجاعتهم وجرأتهم فى الحق، نأخذ من هؤلاء الأباء ما يحفزنا على أن نكون خير أبناء لخير أباء. ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد أمين.